

حول حياة الرسول الكريم محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم)

بناء الكعبة المشرفة

ذاتَ يَومٍ انْهالَتْ السِيّولُ غـزِيَرةً مِنْ أَعـالِي الجِبالِ الُمحِيَطةِ بِمَكَةَ الُمكَرَّمَةَ..

مِمـّا تَسَبَّبَ فِي وُقُوعِ حادِثَةٍ جَعَلَتْ أَهْلَ مـَكَةَ فِي حَيَرةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إلى تِلْكَ السُيُولِ الّتي دَخَلَتْ الكَعْبَةَ الشَرِيفَةَ.

فَتَصَدّعْتَ جُدْرانَها، الأَمْرَ الّذي دَعاهُمْ إلى عَقِدِ اجْتِماعٍ فِيما بَيْنَهُم للتَّداوُلِ في أَمْرِ الكَعْبَةِ.

قالَ أَحَدُهُم: ما رَأْيُكُمْ أَنْ نَهْدِمَ الكَعْبَةَ وَنَبْنِيها مِنْ جَدِيدٍ..؟

فِكْرَةٌ جَيِّدَةٌ.. وَيُمْكنُنا أَيَضاً أَنْ نَزِيدَ في عَرْضِها أو ارْتِفاعِها.. قالها آخَرُ وَأَيَّدَهُ مُعْظَمُ الحاضِرِينَ..

وَلكِّنْ سُرْعانَ ما أَشارَ إِلَيْهِم شَخْصٌ ثالِثٌ قائلاً: مَهْلاً أَلا تَخْشَوْنَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْنا عُقُوبَةً مِنَ السّماءِ.. لَوْ شَرَعْنا بِتَهدِيمِها..؟

حَقّاً وَلكِنْ ما العَمَلْ إذَنْ؟!

قالَها مُعْظَمُهُمْ وَقَدْ تَسَرَّبَ الخَوْفَ إلى قُلُوبِهم.. فَأَشْفَقُوا مِنْ وَضْعِ مَعاوِلِهِمْ فِيها خَشْيَةَ نزُولِ العُقُوبَةِ..



وَبَيْنما هُمْ على هذِه الحالَةِ..

قالَ لَهُمْ رَجُلٌ يُدعى الوَلِيدُ بن المُغِيَرةِ: يا قَوْم نَحْنُ لا نُرِيدُ إِلاّ الإِصْلاحَ..

أُنْظُروا سَأصْعَدُ أَمامَكُمْ إلى أَعْلى الكَعْبَةِ وَأُحَرِّكُ حَجَراً مِنْها..

وَراحَ الوَلِيدُ بن المُغِيرَةِ يَتَسَلَّقُ جِداراً مِنَ الكَعْبَةَ حَتّى وَقَفَ عَلَيْهِ.. وَأَهْلُ مَكَةَ يُحَدِّقُونَ فِيه وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ لِيُحَرِّكَ حَجَراً مِنْهُ..

فُجْأَةً!! وإذْا بالصُراخِ أَخَذَ يَتَعالى وَقَدْ استَبَدَّ الرُعْبُ بالنّاسِ فَراحَوا يَتَضَرَّعُونَ إلى اللهِ: اللّهم إنّا لا نُريدُ سِوى الاِصْلاحَ..!!

لَقَدْ خَرَجَتْ أَفْعى رَهِيبَةً مِنْ خِلالِ الجِدارِ مِمّا جَعَلَ الوَلِيدَ بنَ المُغِيرةِ يُسارِعُ بالنِزُولِ وَقَدْ اسْتَبَدَّ بهِ الفَزَع.. وَلَيْسَ هذا فَقَطْ بَلْ حَتى الشَمْسَ غابَتْ مُنْكَسِفَةً مِنْ جَرّاءِ ذلكَ..



فِي هذهِ الأَثْناءِ رَفَعَ شَيْخٌ صَوَتَهُ قائلاً لَهُمْ: يا قَوْمِ.. يا قَوْمِ إِنَّ اللّٰهَ تعالى لا يَرضى أَنْ تُنفِقوا في بِناءِ بَيْتِهِ الشَريفِ أَمْوالاً اكْتَسَبْتُمُوها مِـنْ حَرامٍ.

فَلْيُساهِمْ كُلُ رَجُلٍ مِنْكُمْ في بِناء الكَعْبَةِ بِمالٍ طَيِّبٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ حَلالٍ..

عَمِلَ الرِّجالُ بَما سَمِعُوهُ مِنَ الشَيْخِ.. حَتى جَمَعُوا الاَمْوالَ وَهُمْ يَقُولونَ: سَنُنُفِقُ هِذه الاَمْوالَ في بِناء بِيْتِ اللّٰهِ الحَرامِ..

فَعادَتِ الشَمْسُ إلى حالَتِها الطَبِيعّيةِ..

وَقْد شاهَدَ النّاسُ نِسْراً يَهْبِطُ على جِدارِ الكَعْبَةِ.. فَيَلْتَقِطُ الاَفْعى وَيُحَلِّقُ بِها عالِياً..

فَعَرِفُوا مِنْ خِلالِ ما حَصَلَ أَمامَهُم أَنَّ اللّٰه تَعالى قَدْ أذِنَ لَهُمْ فيما صَمَّمُوا عَلَيهِ.. فَراحُوا يُباشِرُونَ عَمَلَهُمْ..



انْهَمَكَ الرِجالُ فِي تَهْدِيمِ الجُدْرانِ المُتَصَدِّعَةِ حَتى وَصَلُوا إلى القَواعِدِ الّتي وَضَعَها نَبِيُّ اللهِ إبراهِيمُ الخليلُ (عليه السلام) فَأَرادُوا تَحرِيكَها لِتَعْرِيضِ الكَعْبَةِ الشَرِيفَةِ..

ولكِنْ عِنْدَما شَرَعُوا بِذلِك حَصَلَ ما لَمْ يَكُنْ بالحُسْبانِ فَقَدْ اهْتَزَتْ الأَرْضُ تَحْتَ أَقْدامَهُمْ..

وَأَصابَتْ مَكَةَ ظُلْمَةٌ شَدِيدَةٌ جَعَلَتْهُمْ يَعيشُونَ لَحظاتَ الفَزَعِ مِنْ جَديدٍ.. فَعَرِفوا أنَّ ما أَصابَهُمْ هُوَ بِسَبَبِ تَحرِيكِ القَواعِدَ فَعَدَلوا عَنْ ذلِكَ..



ارْتَفَعَتْ جُدرانُ الكَعْبَةِ الشَرِيفةِ في بِناءٍ جَدِيدٍ..

وَقدْ اشْتَرَوا أَخْشاباً لِتَسْقِيفَها.. وَزِينَةً لِتَزْيِّنَها..

وَلمَّا جاءَ دَوْرُ وَضْعِ الحَجَرِ الاَسْوَدِ في مَحَلِّهِ، اخْتَلَفَتْ قَبائِلُ مع قُرَيْشٍ وَتَشاجَرَتْ فِيما بَيْنَها..

ذلكَ لأَنَّ كلَّ قَبِيلَةٍ تُريدُ أَنْ تَحْظى بِشَرَفِ وَضْعِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، لِما لَهُ مِنَ أَهَمِيّةٍ بالِغَةٍ عِنْدَ اللّٰهِ تَعالى..

لِهذا كانَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ تَقُولُ: نَحْنُ أَوْلى بِهِ.. نَحْنُ نَضَعُهُ..



وَبَيْنَما هُمْ على هذه الحالِ وإذا بِشَخْصٍ مِنْهُمْ يَرفَعُ صَوْتَهُ قائلاً : مَهْلاً يا قَوْم.. يا قَوْمِ مَهْلاً..

صَمَتَ الجَمِيعُ وَراحُوا يَنْظِرُونَ إلَيْه بَيْنما هُوَ يُواصِلُ كَلامَهُ: ما رَأيُكُمْ في أَنْ نَتَحاكَمُ عِنْدَ أَوَّلِ داخِلٍ عَلَيْنا منْ بابِ بَني شَيبةٍ؟

مُوافِقُونَ.. قالُوا ذلِكَ بَعدَ فَتْرَةٍ مِنَ الصَمْتِ وَالتَّشاوُرِ فِيما بَيْنَهُم..

فُجْأةً!! وإذا بالكَعْبَةِ تَشِّعُ نُوراً.. وَتَفُوحُ عَطْراً.. فَتَهلَّلَ الجَمِيعُ فَرَحاً..

لَقَدْ أَطَلَّ عَلَيْهِمُ مُحَمَّدٌ (صلى اللّٰه عليه وآله وسلم)؛ فَأشْرَقَتِ الكَعْبَةُ بأَنْوارِ وَجْهِهِ الكَرِيمِ.. وَراحَ الرِّجالُ يُرَدِّدُونَ: إنَّهُ الصّادِقُ الأَمِينُ.. الصّادِقُ الأَمِينُ.. حَكِّمُوهُ بَيْننا..



وَبَعْدَ أَنْ أَخْبَرُوهُ بالأَمْرِ، بَسَطَ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) رِداءهُ عَلى الأَرْضِ..

ثُمَّ تَناوَلَ الحَجَرَ الاَسْوَدَ فَوَضَعَهُ فَوْقَ الرِداءِ.. وأشارَ إليْهِم بأَنْ يَتَقَدَمَ مِنْ كُلِّ عَشِيَرَةٍ رَجُلٌ يُمْسِكُ بِطَرفٍ مِنَ الرِداء..

فَكانَ مِنْهُمْ عُتبةَ بنَ رَبِيعةٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ.. والأَسْوَدَ بنَ المُطلِّبِ مِنْ بني أَسَدٍ.. وَأَبو حُذَيْفَةَ بنَ المُغِيرَةَ منْ بني مَخْزُومٍ.. وَقيسَ بنَ عَدّي مِنْ بَني سَهْمٍ..

رَفَعَ هؤُلاءِ الرِّجالُ رداءَ رَسُولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم).. حَتى أَوْصَلوا الحَجَرَ الأَسْوَدَ الذي فِيهِ إلى مُسْتَوى مَوْضِعِهِ، فَتَناوَلَهُ الرَسُولُ (صلى الله عليه وآله وسلم) وَوَضَعَهُ في مَحَلِهِ..

فَنالَ بِذِلكَ كَرامَةً خَصَّهُ بها الله تَعالى قبْلَ بِعْثَتِهِ الشَرِيفَةِ..



النهاية

بناء الكعبة المشرفة

المصدر: موقع رافد